1

جغرافية
الفيضانات العليا

ألمطر الأول يمسح من أثر الدمع على الشباك عيوننا
وهموم البحر تسافر أو تلهو
جارحة تقطع مسك الليل بأجنحة بيضاء، وأنت
يا بحر الأشياء الموسومة بالشوق، تعال
وخبرني مثل المطر الأول
مثل عصافير البحر
عن الجهات الأكثر فتنة بالأعشاب تعال
يا بحرا يستوطنه محبوبي
ويهاجر في لحمي
ويصاحبني ليلا
هل أنت نصيبي من صدقات الزمن الداعر
يكفيك إذن أن تشربني في الجلسات السرية شايا
أو تملأ بالشوق أنابيبي الخزفية
يا بحر الأشياء المنذورة للفيضانات العليا

عبد الله راجع
تخطيط
عبد الوهاب البوري

خُذْ عَيْنِي إِنْ كُنْتَ تُرِينِي شَفَةً مَا مَصَّتْهَا شَفَتَانِ
وَخُذْ عَيْنِيَ الأُخْرَى إِنْ كُنْتَ تُرِينِي جَسَدًا
يَفْرُغُ حَوْلَ مَعَاقِنِهِ تِرْسًا مِنْ عُمْقِ الكِبْرِيتِ وَهَيْبَتِهِ
إِلَّا جَسَدَ المَعْشُوقْ ؟
يَا نَهْرًا فِي خُضْرَتِهِ تَهْوِي أَوْسَعُ مَا بَيْنَ جِرَاحِي خَلِيجًا
سَأُغَنِّي لَكَ مِنْ أَجْلِ حُضُورِ الزَّنْبَقِ آيَاتٍ
أَوَّلُهَا النَّضْرَةُ
وَالنَّضْرَةُ آخِرُهَا
وَسَأَحْمِلُ نَحْوَكَ جِسْمِي مَأْخُوذًا بِحَسَاسِيَةِ النَّهْرِ
إِذْ آتِيكَ
مُنْبَهِرًا بِالفِتْنَةِ مِثْلَ إِنَاثٍ لَمْ تَمْسَسْهُنَّ يَدٌ
وَكَأَنِّي غَرِيبٌ يَبْلُغُ المِينَاءَ
سَأُهْدِي بِكَ عُيُونًا تَسَعُ الصَّحْرَاءَ
وَيَا أَضْيَقَ مِنْ جَسَدِي إِذْ يَسْكُنُهُ الشَّوْقُ تَمَهَّلْ
ثَانِيَةً

هَذَا حُلُمٌ لَمْ تَحْتَمِلْهُ قَصِيدَةٌ
حُلُمٌ بَعْضُ هِوَايَتِهِ أَنْ يَزُورَنِي لَيْلاً
وَنَهَاراً يَقْطِفُنِي
حُلُمٌ كَمَسَاءَاتِ الوَطَنِ كَئِيبٌ وَمُخِيفٌ
حُلُمٌ وَسَأَحْلُمُهُ مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى تَبْزُغَ مِنْ مَغْرِبِهَا الشَّمْسُ
تَمَهَّلْ
يَا حَارِسُ مَنْ فِي حَضْرَتِهِ يَشْتَدُّ صَهِيلِي
هَذَا حُلُمٌ يَتَعَثَّرُ فِي أَقْصَايَ
وَأَحْلُمُهُ مُنْتَهِياً بِمُشَاهَدَةِ الكِبْرِيتِ
وَهَذَا الإِنْسَانُ أَجَّلَ هِجْرَتَهُ نَحْوَكَ سِتَّةَ أَعْوَامٍ
هَلْ تَعْرِفُ مَنْ فِي حِينٍ أَتَمُّ الإِنْسَانِ الأَكْثَرُ قُرْباً مِنْ عُمْقِ
الكِبْرِيتِ
سَأَحْلُمُهُ مَعَكَ اللَّيْلَةَ حِينَ نُسَافِرُ
أَوْ نَعْدُو صَوْبَ أَمَاكِنَ أَكْثَرَ وَحْشِيَّةً فِي العِشْقِ
يَا بَحْرَ كِتَابَاتٍ تَتَنَزَّلُ فَوْقَ خَرَائِطِ جِسْمِي

هذا إنشادٌ مأخوذٌ بنبوءتهِ
فلتتقدَّمْ
ولتتقدَّمْ في جسدي مِنْ خَبِيرٍ يُحْسِنُ جَسَّ التُّرْبَةِ
وَلْتُغْرِقْنِي بِأَلْفِ قِطَعٍ مِنْ إحْسَاسَاتِ سَلاطِينِ العُشَّاقْ

2
أَنْتِ البَحْرُ، وَأَنْتِ كِتَابَتُهُ حِينَ عَلَى الرَّمْلِ يَجُرُّ خُطَاهُ
وَأَنْتِ طَرِيقِي عَبْرَ المُرْتَفَعَاتِ الوَحْشِيَّةِ
صَوْبَ نَهَارٍ تُصْبِحُ فِيهِ حُرُوفُ اسْمِكِ نَارِي
أَنْتِ المَجْزَرَةُ الآنَ عَذْبٌ مِنْ نَكْهَةِ مِسْكِ اللَّيْلِ
وَأَنْتِ العَرَبَاتُ المَأْخُوذَةُ بِالفَتْكِ انْدَفَقْ
صَوْبَ أَقَالِيمِي حَامِلَةً رَائِحَةَ الغُنَّاجِ انْفَجَرْ
تَرْشُقُنِي بِلُغَاتٍ لا أُتْقِنُهَا
يَا نَبْقَةَ النَّهْرِ خُذِينِي، أَنَا مُشْتَاقٌ
لُمِّينِي أَنَا غُصْنٌ يَبْحَثُ عَنْ غُصْنٍ

وَبِمَا تَفْصِلُنِي عَنْ جَسَدِي هَذَا المَفْتُونُ يَنْخَلِعُ الصَّبْر
خُذِينِي اعْتَصِرِينِي حَتَّى يَقْفِزَ مِنْ بَيْنِ شُقُوقِي نَهْرُ
الشَّوْقِ

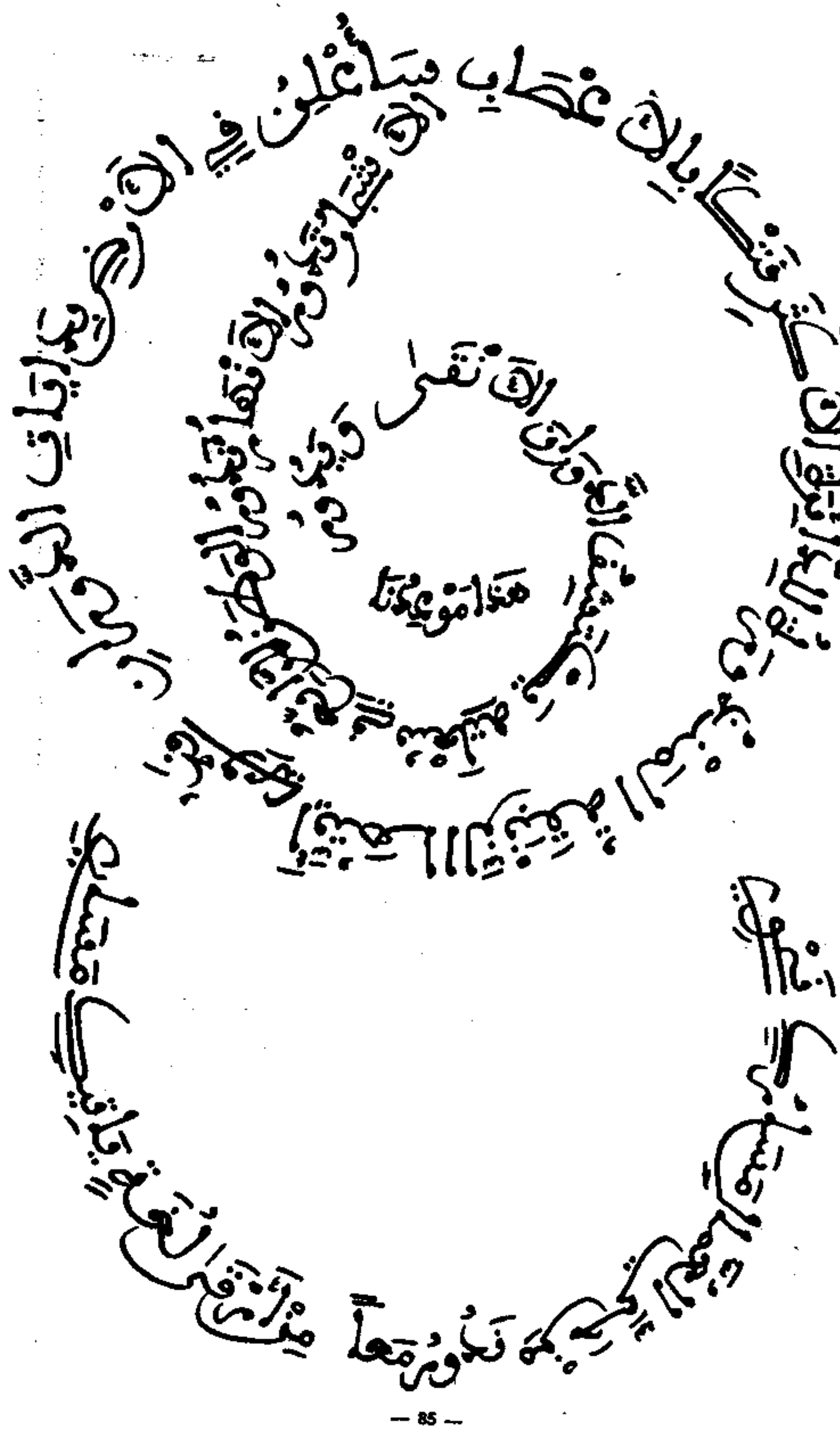
هذا موعدنا
غضاب فسأغلي في الأرض

إنّي آخذُكِ الآنَ فلا يأخذُني فيكِ سواي
وأشربُ منْ عينيكِ نعاسَ الشطآنِ، فتركُني
حالاتٌ أشبهُ بالصحوْ
أنا الكبريتُ الباحثُ عمّنْ يفركُهُ، كمْ سيكونُ
جميلاً
أنْ أستنشقَ في القيظِ رمادي
ولأنتِ البحرُ، وأنتِ خطوطُ الهدنةِ في جبهاتي
أرتاحُ على كتفيكِ دقائقَ ثمّ أعاودُ في الأرضِ
جهادي
أرتاحُ إلى الدورانِ الأنقى
حولَ الوطنِ المنبعِ فيكِ بعمقِ الكبريتِ
(سأبدأُ لحظةَ يصبحُ إيقاعُ النبضِ قريباً في البدءِ
منْ إيقاعِ الوطنِ الرائعِ في شعلتِهِ)
أنتِ بداياتُ النبضْ
بداياتُ الدورانِ الأكبرِ حولَ العصرِ الموسومِ برائحةِ

الإسمنتي
بدايات الموت على جسد نبوءاتي
تترجل في حضرة بحر لا يعرف للصمت مذاقا
تترجل على هيئة الأقدام
كأنني أحترق للبحر المزهو بشاربه، أنت

3
هكذا أنت أحلم بالكلمات التي لم يقلها الزنبقة
شاعر
سأقول لك الآن ما قلته للمساء الذي يشرب
الشاي
منذ أمز جبينك متكئا
لما انتظرتك حتى تقافز مني الطباشير، كنت
الطريق إلى الوطن
ليس ينكر على شفة أو ثوب، وكان الوطن

حُلُماً يتوفّزُ في رئةٍ منذُ خانَ المعاملُ كانَ الوطنْ
رائعاً في احتراقِ مشاغلهِ مثلَ سيّدةٍ تُغسِلُ الليلَ
قلتُ انتظرني
على قمّةٍ من همومِ الأحبّةِ بالوطنِ، واخترتني
أعرفُ أنّكَ أوسعُ بابٍ يقودُ إلى المجزرةْ
واخترتُكَ، كانَ عليَّ إذنْ، أنْ أكونَ جديراً
بهذا المسمّى وطنْ.

◆

هكذا تستقيمُ الأمورُ
وأنا أُمنكَ نعليهِ
أقولُ: البناياتُ تمشي على رأسها
يضحكُ الأصدقاءُ
وفي القيظِ، يشحبُ لونُ انتظاري

تأنَّ قليلاً، لهذا الكلامِ تتمّتُهُ
فلا تَلُمْ بريئاً هُوَ البحرُ فيكَ
يدٌ لا تُقدِّمُ للعاشقينَ زُهوراً
أكانتْ تُراوِدُني لو تخلّفَ عنّي الوهَنْ
لكِ الليلُ، فانزلقي فيهِ مثلَ اشتهاءٍ عميقٍ، لكِ البحرُ
دُسّي جبينَكِ في صدرِهِ، مثلَ توقّعةٍ أنكرتها الظنونُ
يميناً، إذا فتحَ البحرُ أبوابَهُ، وامتطى صهوةَ المنتزهِ
نهارُكِ، هذا المُسيّجُ بالقيظِ، لن تغربَ الشمسُ فيهِ على منبرِهِ
نهارُكِ لو جئتني، مثلما اللاجئُ
على غفلةٍ من عيونِ الكلابِ استخفَّتْ
ينابيعُهُ علناً، وسعيتُ الصعاليكَ
ماذا إذن بعدَ أن جئتني علناً فاخترقتُ
تأنَّ قليلاً، لهذا الحديثِ بقيّةْ

مُثْبَتٌ فِي حَوَاشِي الطَّرِيقِ اسْمُكِ، العَابِرُونَ اسْتَرَاحُوا
إِلَى فَيْئِهِ لَحْظَةً
قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا لِلطَّرِيقِ النِّعَالَ اسْتَرَاحُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا
لَيْتَهُمْ تَقَفَّوْا لُغَةً فِي حَوَاشِي الطَّرِيقِ قُبَيْلَ الكَلَامِ
صَهِيلًا
وَتَمْتَدُّ، تَمْتَدُّ مِنْ بَسْمَةٍ فِي المَمَرَّاتِ حَتَّى مُصَاهَرَةِ
المَجْزَرَةْ
هَكَذَا أَنْتِ، سَيِّدَةٌ فِي احْتِوَاءِ الكِتَابَةِ بِالنَّبْضِ
سَيِّدَةٌ فِي اخْتِيَارِ المُحِبِّينَ
هَلْ أَجْرُؤُ الآنَ، بَعْدَ احْتِرَاقِي عَلَى كَتِفِ البَحْرِ،
أَنْ أَسْتَعِيرَ المَنَامَ وَلَوْ لَحْظَةً
هَلْ يَكُونُ الطَّرِيقُ إِلَى وَطَنِ القَمْحِ غَيْرَ الطَّرِيقِ إِلَيْكِ
تَأَنَّيْ، لِهَذَا الكَلَامِ تَتِمَّةُ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةْ

4

يَحْلُو لِي أَحْيَانًا أَنْ أَتَسَلَّى بِمُطَارَدَةِ الوَجْهِ المُتَسَلِّلِ
مِنْ مُمْتَلَكَاتِي اللَّيْلِيَّة
يَحْلُو لِي أَنْ أَعْتَبِرَ البَحْرَ صَدِيقِي
وَالزَّنْبَقَ بَعْضًا مِنْ أَحْزَانِي الوَحْشِيَّة
يَا عُمْقَ المُنْعَطَفَاتِ امْنَحْنِي هَذَا الاِنْفِتَاحَ الأَكْثَرَ
شَجْوًا
كَابَدْتُ الحُزْنَ الثَّائِرَ، مَا انْسَلَّتْ مِنِّي الشَّكْوَى
وَرَوَيْتُ عَنِ الزَّنْبَقِ مَا يُسْلِمُ لِلْقَطْعِ رُؤُوسَ العُشَّاقِ
فَتَوَّجَنِي سُلْطَانَ صَعَالِيكِ الوَطَنِ الرَّائِعِ فِي سُعْلَتِهِ
وَامْحَلَ فِي جَسَدِي
مِثْلَ امْرَأَةٍ فَتَنَتْهُمْ بِبُعْدِهَا وَاغْتَالَتْنِي.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، حِينَ فَتَحْنَا بَابًا لِحَدِيثِ العَيْنِ
وَنَافِذَةً لِرَسَائِلَ لَمْ تُكْتَبْ
أَوْرَقَ غُبَارُ الشَّمْسِ عَلَى كَتِفَيَّ

وَغَطَّتْنِي صَاحِبَتِي بِاللَّوْتَسِ قَائِلَةً: هَذَا مَا أَمْلِكُهُ
قُلْتُ: اقْتَرِبِي مِنْكِ، وَهَيَّا نَقْتَسِمِ الْبَحْرَ مَعًا
كَمْ حَرَّكَ سَاقَيْهِ الزِّئْبَقُ نَحْوَ مَضَارِبِنَا
مَأْخُوذًا بِالْمُسْتَوِيَاتِ إِذَا اتَّخَذَتْ شَكْلَ سَرِيرٍ
فَاكْتَشَفَ الْهَمَّ سَرِيرًا
وَاقْتَرِبِي مِنِّي يَا أَلْفَ جَلَالِكِ وَشْيًا، وَحَرِيرًا

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، حِينَ فَتَحْنَا بَابًا لِإِيوَانٍ ضَيِّقٍ
فَتَحَتْ صَاحِبَتِي مِعْطَفَهَا الْبُنِّيَّ، وَضَمَّتْنِي قَائِلَةً:
هَذَا مَا أَمْلِكُهُ
قُلْتُ: اعْتَصِمِي بَيْنَ يَدَيَّ وَفِي بَحْرَاوَاتِ هَذَا الْعِشْقِ
تَلَوَّنْ- مِثْلَ أَشَدِّ الرَّغَبَاتِ شُذُوذًا- عَبْرَ أَنَابِيبِي
وَتَعَالَيْ، سَيِّدَتِي، نَتَصَعْلَكْ
نَعْرَى، وَنَجُوعُ، وَنَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَمْلِكْ

تِلْكَ نُبُوءَاتِي، هَلْ يُنْهِئُ مَنْ آخَالُ الْبَحْرُ
وَهَذَا جَسَدِي
يَنْتَظِمُ الْآنَ صُفُوفًا كَيْ يَدْخُلَ صَوْتَهُ دِخْلَةَ
هَاوُوِيس
هَلْ يَبْرُزُ بَحْرُ نَيُونَةٌ عَنِّي جُزُرًا
لَمْ يَبْقَ إِذَنْ غَيْرُ إِنْشَادِ الْآنَ كَثِيرَ شَبْوًا، لَمْ يَبْقَ
سِوَاكِ
انْتَشَرَ الْعُشَّاقُ عَلَانِيَةً، تَخْلُو مَمْلَكَةُ الْأَلْوَانِ
وَلَمْ تَنْتَشِرْ إِلَّا تَحْتَ الْجَفْنَيْنِ
وَلَمْ تَتَمَلَّى غَيْرَ الْقَهْوَةِ لَوْنًا
أَيَّتُهَا الْقَاسِيَةُ الْعَيْنَيْنِ، الْقَاتِلَةُ الْمَأْخُوذَةُ
بِالشَّيِّقِ مِنْ حَرَكَاتِ الْغُنْجِ الْمَنْذُورَةُ لِلْفَيَضَانَاتِ
الْعُلْيَا
أَيَّتُهَا الْمَسْكُونَةُ لَيْلًا بِالشَّوْقِ، وَبِالصِّحَّةِ نَهَارًا
تِلْكَ نُبُوءَاتِي، فَتَعَالَيْ نَقْتَسِمِ الْبَحْرَ جِهَارًا

آثَرْنَا الصَّمْتَ، فَلَمْ يَمْنَحْنَا الصَّمْتُ تَمَامًا

5

أَلِفْتُكِ، حِينَ تَجِيئِينَ تَفَلَّتُ مِنِّي القَصَائِدُ لاَبِسَةً جَسَدِي
يَوْمَ كَانَتْ طَرِيقِي مِنَ المَطْعَمِ الجَامِعِيِّ إِلَى بَابِ بُوجْلُودَ
مَسْقُوفَةً بِالهَوَاجِسِ
أَرْفَعُ نَحْوَكِ عَيْنَيْنِ مُثْقَلَتَيْنِ نُصُوصًا، وَأَضْحَكُ :
هَامْ مِنَ الرُّعْبِ سِوَاكِ مَنْبَعَةٌ، وَاصْطَفَا فِي حِصَاتَنَا
حَدِيثُ المَوَاجِعِ فِي العَيْنِ لَمْ يَنْتَهِ قَلَمًا أَوْلِيَانَا
أَلِفْتُكِ، تَدْخُلُ كُلُّ العَصَافِيرِ أَعْشَاشَهَا
تَسْتَكِينُ إِلَى الشَّايِ وَالدِّفْءِ، حِينَ يَصِيرُ دَمِي قَهْوَةً
وَتَصِيرُ الكِتَابَةُ أَحْلَى عَلَى وَاجِهَاتِ المَقَاهِي
أَلِفْتُكِ، أَنْسَلُّ مِنْ بَابِ بُوجْلُودَ
مُتَّئِدًا مِنْ عُيُونِ الكَوَاعِبِ أَنْثَايَ
فِي خُطْوَتِي يَشْمَخُ البَحْرُ

والوطنُ المحتوى بالجبانات يركبني
يتربّصُ إلى خطوةٍ ليبدأ أوسعَ منها بسؤالٍ. انتظـ
ـرْتُك

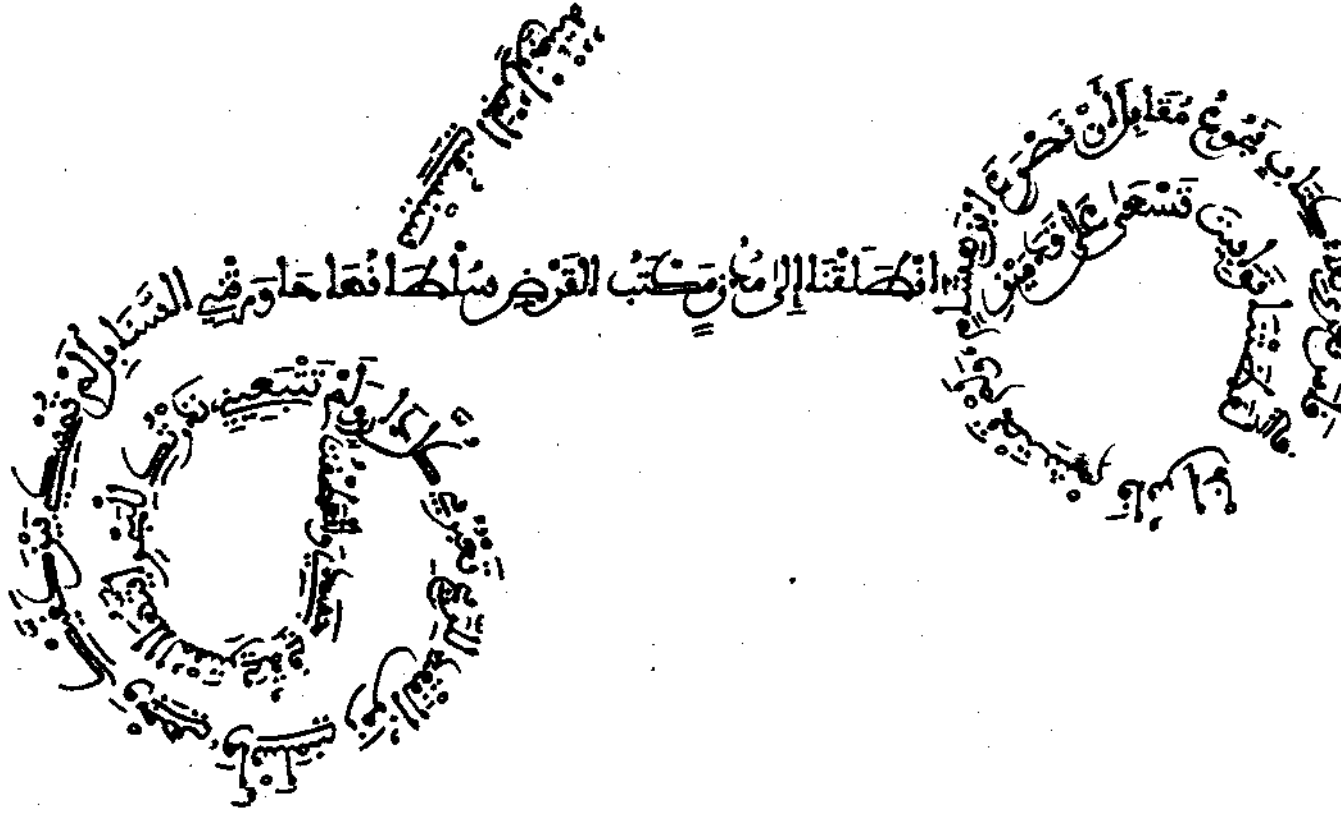
انطلقنا إلى مُدُنٍ تكتب القرض سُلطانها ورقي السنابل التي

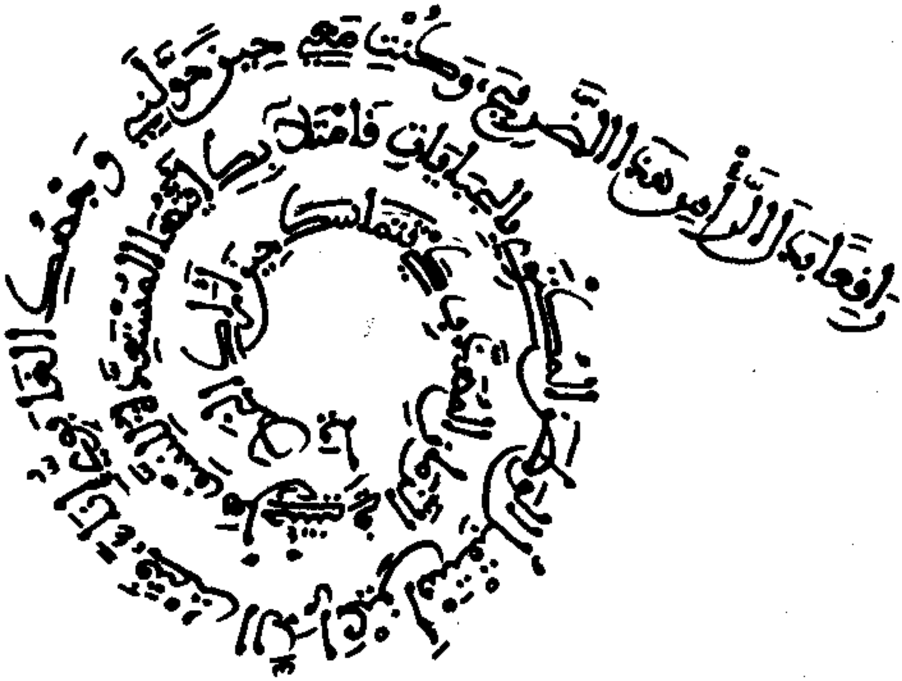
هذا الضريح وكنت معه حين
فامتد
تتماسك

هُنَا الْمَوْتُ، كُلُّ الأَشْيَاءِ لَهُ وَجْهَانِ: التَّمَزُّقُ وَالْمُعْضِلَةْ
هُنَا الْمَوْتُ، أَرْسُمُ حَوْلَ الْكَأْسِ سِيَاجًا
فَتَكْشِفُ عَنْ سِرِّهَا الْمَرْحَلَةْ
تُرَاوِدُنِي لَحْظَةٌ لَيْسَ أَجْمَلَ مِنْهَا سِوَاكِ
تُكَاشِفُنِي بِالرَّحِيلِ الْمُكَثَّفِ أَوْ تَسْتَضِيفُ احْتِرَاقِي
هَلِ الْبَحْرُ يَأْخُذُ مَجْرَاهُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِكِ
أَيَّتُهَا الْمُسْتَعِدَّةُ لِلْجُرْحِ مِثْلَ عُيُونِ السِّبَاقِ
أَنْتِ الْبِدَايَةُ بِالْعِشْقِ، وَالْمُنْتَهَى بِامْتِشَاقِ الشُّرُوقِ
كَيْفَ إِذَنْ جِئْتِنِي
بَعْدَ أَنْ جُمِعَ الْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى، لِيَكُونَ الْوَهَنْ
صَهِيلَكِ تُوَسِّدُنِي فَاحْتَقِنْ.